الدولة العميقة

نشأ مصطلح الدولة العميقة أول ما نشأ في تركيا في تسعينيات القرن الماضي للتعبير عن شبكات من المجموعات ذات النفوذ وأصحاب رؤوس الأموال وضباط القوات المسلحة الذين أخذوا على عاتقهم حماية علمانية الدولة التركية بعد قيامها على يد مصطفى كمال أتاتورك ومحاربة أي حركة أو فكر أو حزب أو حكومة تهدد مبادئ الدولة التركية العلمانية، وكان ذلك أول تعريف وظهور لمفهوم الدولة العميقة.

وقد برز بعد ذلك المفهوم بتعريفات مشابهة في كل من الولايات المتحدة الأمريكية بعد إنشاء الوكالة المركزية للاستخبارات الأمريكية، وبدا أن الدولة العميقة تتمثل في شبكات السلطة السياسية في واشنطن والسلطة الاقتصادية والمالية في وول ستريت والتي تعمل على حماية مجموعة من شبكات المصالح المختلفة لأباطرة المال والأعمال.

وتردد بعد ذلك مفهوم الدولة العميقة بين العديد من الدول، ولا سيما في منطقتنا العربية والإسلامية وخاصة فيما بعد الانتفاضات العربية التي تعاقبت على العديد من العواصم العربية وما آلت إليه الأحداث خاصة في دولة بحجم مصر ولاسيما في أثناء الربيع العربي المزعوم ، والتي شهدت تحولا أظهر مفهوما واضحا للدولة العميقة التي لعبت دورا مهما في مجريات الأحداث.

ذلك المفهوم هو أنها تمثل المؤسسات العسكرية والأمنية والقضائية والإعلامية التي تجتمع على هدف الحفاظ على مصالحها ضد أي تهديد والعمل على إبقاء الوضع على ما هو عليه بما يحفظ تلك المصالح المتشابكة، كما تقوم بذلك بدعوى الحفاظ على الأمن القومي ضد التهديدات الخارجية.

يمكن أيضا إضافة جزء متعلق ببيروقراطية (الجهاز الاداري)، تلك المتعلقة بأسلوب الإدارة الذي يحافظ بقدر كبير على الوضع القائم دون تغيير والحفاظ على المصالح المتشابكة ضد أي تهديد من قبل أي جهة بما في ذلك المواطن نفسه.

ومن الجدير بالذكر في ذلك الموضع أن مفهوم الدولة العميقة لم يكن وليد اللحظة دون أي مقدمات أو ترتيبات، فلقد تم تهيئة المناخ المناسب من أجل إبراز ذلك المفهوم كي يعمل بشكل فعال ويؤدي دوره على أكمل وجه.

هذا المناخ كان دائماً أنموذجاً للدولة القومية الحديثة بأجهزتها ومنهجها وفلسفتها في الحكم والسلطة[1].

---

(١) الروابط للبحوث والدراسات الاستراتيجية.